

إسهامات العلماء الجزائريين في البلاغة العربية

د. فاطمة صغير، المركز الجامعي مغنية

• البريد الإلكتروني: diden.bb@hotmail.fr

الملخص:

إنّ الباحث في الحياة العلميّة والأدبيّة للجزائر عبر مختلف الحقب الزمّنيّة من العهد القديم إلى العصر الحديث، يجد حركة علميّة وفكريّة وأدبيّة نشيطة، بفضل علماء أجلاء ومفكرين مؤصّلين وأدباء مبدعين، الأمر الذي ساعد على إثراء العلوم والفنون بشتّى المعارف والمؤلّفات في مختلف الحقول والميادين.

ومن العلوم الجليّة التي شهدت عناية العلماء الجزائريين علم البلاغة؛ إذ أثره بمختلف أنماط التّأليف المتمثّلة في: المنظومات البلاغيّة والمختصرات البلاغيّة والشّروح البلاغيّة والكتب البلاغيّة إضافة إلى القضايا المتّصلة بالبلاغة.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربيّة - العلماء الجزائريون - التّأليف البلاغي - الحياة العلميّة والأدبيّة في الجزائر.

Abstract:

The researcher in the scientific and literary life in Algeria through the various eras of the old ones -eras- to the modern age, finds an active scientific, intellectual and literary movement, thanks to the scientists sand intellectuals and creative writers and authors, which helped him to enrich the science and the arts with various knowledge and literature in various fields.

One of the great sciences that has witnessed the attention of Algerian scientists is the science of rhetoric; they have influenced it by various types of authorship: rhetorical systems, rhetorical acronyms, rhetorical annotations, rhetorical books, as well as issues relating to rhetoric.

Keywords: Arabic Rhetoric – Algerian scientists – Rhetorical synthesis – Scientific and literary life in Algeria.

تمهيد:

معلوم أنّ أرض الجزائر، شكّلت مطمعاً كبيراً للدول الأجنبية منذ فجر التاريخ، بسبب الموقع الجغرافي والثروات الطبيعيّة الهائلة، ولذلك لم تتقطع عنها هجمات الغزاة طيلة المراحل التاريخيّة، وكان من البديهي أن يتصدّى أبناء هذه الأرض للاعتداءات المتوالية والمتكرّرة، ممّا يعني أنّ فترات الاستقرار ببلاد المغرب الأوسط كانت دائماً قصيرة رغم تعاقب الحضارات.

ومن المؤكّد أنّ واقعاً كهذا، لا يشجّع أهل البلاد على الاهتمام بالفكر والعناية بالأدب والإبداع لأنهم منشغولون بالحرب والدّفاع عن الأرض، ومع ذلك لا نعدم جهوداً فكريّة وعلميّة وأدبيّة للجزائريين قديماً وحديثاً.

1) إثراء العلماء الجزائريين للحياة العلميّة والأدبيّة:

إنّ المطّلع على المؤلفات المؤرّخة لتاريخ الجزائر في مناحيه السياسيّة والفكريّة والثّقافيّة، نجد صوراً مشرقة عن إبداع الفرد الجزائريّ وإنتاجه في ميدان العلوم والفنون والآداب، مثلما يعرضه لنا شيخ المؤرّخين أبو القاسم سعد الله في كتابه النّفس تاريخ الجزائر الثّقافي" حيث كشف لنا جهود الجزائريين العلميّة والأدبيّة خلال حقبة تاريخيّة مختلفة.

فالمتمصّح لهذا المصنّف الجليل يلقي حقائق بشأن صلة الجزائريين بالحياة العلميّة وإثرائهم لمختلف المعارف فيها كالطبّ وعلم الحساب والفلك، ومن العلماء الذين عالجوا مثل هذه العلوم "محمد بن محمد القلعي" (ت665هـ) الذي فاق الأوائل في علم الحساب وكذلك

"عبد الرحمن بن محمد الأخضرى" (ت953هـ) الذي له الدرّة البيضاء في علمي الفرائض والحساب وأيضاً شرح السراج في علم الفلك.¹

وكذلك هو الأمر بالنسبة للحياة الفكرية والأدبية، فالمصادر تؤكّد أنّ قدم الجزائريين راسخة فيها إذ سجّلوا حضورهم بثبات في المنطق والفلسفة وعلم الكلام والتاريخ وعلوم الشريعة والأخلاق على نحو "محمد بن إبراهيم الأصولي" (ت612هـ) الذي برز في علم الكلام و"منصور بن علي بن عبد الله الزواوي" (ت770هـ) الذي اشتهر في المنطق والهندسة فحظي بالثناء والإشادة، ومن الذين أشادوا به "لسان الدين بن الخطيب" حيث قال عنه: "هو صدر من الصدور، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية، وإطلاع وتقييد ونظر في الأصول والمنطق والكلام ودعوى في الحساب والهندسة" كما نجد "ضياء الدين الثميني" (ت1808م) في الفلسفة و"محمد بن عبد الرحمن الديسي" (ت1922م) في علوم العقيدة والتوحيد.²

والحقيقة أنّ الأسماء التي نشطت الحياة الفكرية لا حصر لها، ولذلك اكتفينا ببعض الأمثلة، تأكيداً على مساهمة أسلافنا في إثراء هذه المعارف، تماماً كما هي الحال بالنسبة للحياة الأدبية التي رفع فيها لواء الشعر والنثر عدد كبير من الأدباء الجزائريين ينتمون إلى مختلف الدويلات التي قامت بالجزائر، كالدولة الرستمية التي دعيت إبانها مدينة تاهرت بعراق المغرب لدورها الهام في الأدب حيث أنجبت العديد من الأسماء اللامعة "كأبي عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي".³

¹ - ينظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهيض - مؤسسة نويهيض الثقافية للتأليف والترجمة - بيروت، لبنان، ط 3، 1983. ص: 15، 267.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص: 18، 143، 166.

³ - ينظر إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر من الفتح العربي إلى عصرنا، محمد بن رمضان شاوش والغوتي بن حمدان، م 1، ط 1، 2001، ص: 12.

ومما يثبت ازدهار الحياة الأدبية في بلادنا قديماً تلك القصة التي يسوقها لنا صاحب كتاب "المغرب في حلى المغرب" بشأن مقدم الشاعر "الأندلسي ابن هاني" إلى المسيلة ليتصل بأميرها "جعفر بن علي بن حمدون" إذ وجد بابه معموراً بالشعراء، وبسبب ذلك لم يتمكن من المثول بين يديه إلا بعد لجوئه إلى الحيلة.¹

ولا ننسى في هذا المقام الإشارة إلى مدينة بجاية التي غدت في عهد بني حماد مركزاً علمياً ثقافياً كبيراً، أنجب رجالاً كثيراً ضربوا بسهم وافر في مجال الإنتاج الأدبي يتقدمهم "ابن حمديس الصقلي"، ولولا الدمار الذي أتى على آثار أسلافنا من الأدباء، نتيجة الفتن والحروب لوصلنا إبداع كثير، ومع ذلك لا نزال نظفر بنماذج راقية من النصوص الشعرية والنثرية، حبرها العديد من الفحول "كالإمام أفلاح وابن الخراز ومحمد بن المنيب وعبد الله بن قاضي ميلة ويعلى بن إبراهيم الأريسي وأبي حبيب المسيلي وعلي بن أبي الرجال وعبد الكريم النهشلي وعفيف الدين التلمساني وابن خميس وابن مرزوق الخطيب" وغيرهم كثير ممن أرسوا أرضية الأدب الجزائري لأحفادهم الذين رفعوا قواعد البناء خلال العصر الحديث "كأحمد رضا حوحو وواسيني لعرج ورشيد بوجدره وأحلام مستغانمي وربيعة جلطي"....

(2) اشتغال العلماء الجزائريين بعلوم اللغة:

ومثلما سجّل علماء الجزائر ومفكروها حضورهم في الإبداع الأدبي فإنهم أيضاً اهتموا بعلوم اللغة خاصة النحو حيث تركوا لنا فيه إنتاجاً طيباً مما يدل على أنه من أبرز العلوم التي اعتنى بها علماء الجزائر وبذلك حظي بتصانيف كثيرة منها الكتب والمنظومات والشروح والمختصرات، أعدها لفيق من النحاة كـ **كيحيى الشاوي** صاحب اللامية في إعراب اسم الجلالة، و**عبد الكريم الفكون** واضع فتح المولى بشواهد ابن يعلى إضافة إلى أعلام آخرين رفعوا لواء الدراسات النحوية عالياً كـ **كيحيى بن معطي الزواوي** (ت638هـ) الذي أثرها بالكثير

¹ - ينظر: المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد ج 2، دار المعارف، مصر، ص: 97.

من المؤلفات أشهرها الألفية في علم العربية والفصول في النحو وكذلك محمد بن الحسن القلي (ت673هـ) المعروف بالموضح في علم النحو، وأيضاً شهاب الدين المقرئ (ت847هـ) الذي شرح ألفية ابن مالك تحت اسم التحفة المكية.¹

ولم يهمل الجزائريون قديماً علم الصّرف، وإنما نال هو الآخر عنايتهم واهتمامهم، ولهم

فيه

- على سبيل المثال - جامع الأقوال في صيغ الأفعال لأحمد بن عبد الرحمن الخلوف (ت899هـ) كما طرّقوا بعض المسائل العروضية على نحو ما ذهب إليه ابن مرزوق الخطيب (ت743هـ) في مؤلفه المفاتيح المرزوقية لحلّ الأفعال واستخراج خبايا الخرجية.²

والأكيد أنّ اهتمام علماء الجزائر بالبحث اللغوي تضاعف خلال العصر الحديث فتناولوا علوم اللغة المعهودة كالنحو والصّرف والبلاغة والأصوات كما اشتغلوا في الحقول اللغوية التي ظهرت حديثاً كاللسانيات والدلالة والأسلوبية وعلم التراكيب ممّا يثبت مساهمة الباحثين الجزائريين في تنشيط الدرس اللغوي عن طريق بحث قضايا اللغة العربية مثلما توضحه دراسات العلامة المصلح البشير الإبراهيمي (ت1965م) والمتمثلة أساساً في:

- الاطراد والشذوذ في اللغة.
- أسرار الضمائر في العربية.
- التسمية بالمصدر.
- نظام العربية في ميزان كلماتها.
- رسالة الضب.
- الصفات التي جاءت على وزن فَعَل.

¹- ينظر البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص211.

²- ينظر معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهيض، ص267.

- فصيح العربيّة من العاميّة الجزائريّة.

إنّ مثل هذه الكتب والرسائل في قضايا لغويّة مهمّة تشي بأنّ الإبراهيمي من أكبر علمائنا الذين كشفوا عن باعهم الطويل في فقه العربيّة وفهم أسرارها.¹

3) اهتمام البلاغيين الجزائريين بعلم البلاغة:

وهكذا يتّضح لنا أنّ جهود علماء الجزائر اللغوية ثابتة قديماً وحديثاً، ولعلّ البلاغة العربيّة من العلوم التي استقطبت أقلامهم واستحوذت على اهتمامهم وانشغالهم، ولا غرابة في ذلك طالما أنّها علم شريف، حظي بالقداسة والتبجيل عند سلفنا الصالح من شيوخ العربيّة الأوائل، فهذا أبو هلال العسكري يقول منوّها بأهمّيّتها وداعيا إلى تعلّمها وإتقانها: "اعلم - علمك الله الخير ودلك عليه وقبضه لك وجعلك من أهله - أنّ أحقّ العلوم بالتعلّم وأولها بالتحقّظ - بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه - علم البلاغة ومعرفة الفصاحة التي بها يعرف إعجاز كتاب الله تعالى".²

فعلماء الجزائر أدركوا منذ القديم هذه الحقيقة، وانتبهوا إلى مكانة علم البلاغة الذي اقترن بقضية إعجاز القرآن، وبذلك تمّ تأصيله انطلاقاً من نصّه الجليل، وهذا يعني أنّها وضعت من أجله كما يشير إلى ذلك ابن خلدون (808هـ) في قوله: "واعلم أنّ ثمرة هذا الفن إنّما هي فهم الإعجاز من القرآن الكريم".³

1- ينظر "أنا" محمد البشير الإبراهيمي، الثقافة، إصدار وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، ع87، شعبان رمضان 1405هـ/مايو-يونيو 1985، ص32-33.

2- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، دط، 2002، ص08.

3- المقدّمة، عبد الرحمن بن خلدون، باب البيان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1983، ص3، ص521.

وليس هذا فحسب، وإنما تيقن علماء الجزائر قديماً وحديثاً أنّ البلاغة نظم من القواعد يساهم في إنتاج النصّ الأدبيّ ويحرص على التأثير في القارئ بهدف إقناعه،¹ ومن ثمّ أقبلوا على مجالها الواسع، وفروعها الرّحبة، يريدون تسجيل حضورهم، ووضع بصمتهم في هذا الحقل الشّريف الذي نما ودرج في رحاب كتاب الله تعالى، فكان لهم ذلك من خلال ما كتبوه في مسائلها وقضاياها.

والحقيقة أنّ المتّصل بأبحاث الجزائريين البلاغية يجد لديهم تنوعاً في أنماط التّأليف البلاغي، ذلك أنّ إنتاجهم في هذا المجال منذ القديم إلى غاية العصر الحديث، يمكن تصنيفه إلى:

- المنظومات البلاغية.
- المختصرات البلاغية.
- الشروحات البلاغية.
- الكتب البلاغية.
- القضايا المتّصلة بالبلاغة.

أولاً: المنظومات البلاغية:

المنظومات من النّظم المنظوم، يقال نظمّ من لؤلؤ، والنّظم الكلام الموزون المقفّى وهو خلاف النّثر والنّظيم المنظوم من كلّ شيءٍ ما تناسقت أجزاءه على نسق واحد.²

¹- ينظر علم لغة النصّ، المفاهيم والاتّجاهات، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، دط، 2004، ص22.

²- ينظر المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، قام بإخراجه أحمد حسن الزّيات ومحمّد علي النّجار وآخرون، دط، دت، ص 992.

وتعني التّأليف والجمع والنّظم، وتطلق على القصائد الشّعريّة التي ألّفت بهدف جمع قضايا العلوم وقواعدها تسهيلاً للحفظ، يقال منظومة فكرية أي أطروحة تتضمن مفاهيم حول قضية فكرية.

لقد اعتنى علماء الجزائر بوضع المنظومات في مختلف العلوم كالتّوحيد والتّصوّف وعلم الكلام والنحو والبلاغة التي حظيت بالعديد من المتون، ولعلّ أشهرها "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" لعبد الرّحمن بن محمد الأخصري* المتوفى سنة 982هـ ومثلما هو واضح من العنوان، فإنّ هذا المتن، يشمل علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، ويقع في نحو مائتين وواحد وتسعين بيتاً، ولأنّ ناظمه صاحب إرث علمي وأدبي، امتلأت به أيدي النّاس مشرقاً ومغرباً فإنّ منظومته هي الأخرى شهدت إقبال النّاس عليها خاصّة طلبه العلم.¹

ويبدو أنّ كتاب التّليخيص للخطيب القزويني، لقي القبول فراحوا يضعون فيه الأراجيز كدأب ابن مرزوق الحفيد* (المتوفى سنة 844هـ) الذي له أرجوزة نظم فيها تليخيص المفتاح.

وكذلك فعل أحمد بن عبد الرّحمن بن محمد المشهور بابن الخّوف* (ت 899هـ) والمشهود له بالبراعة في ميدان البلاغة ومتعلّقات الأدب، فهو الآخر نظم كتاب التّليخيص

*- أديب وعالم من أهل بسكرة، له كتب في البيان والمنطق والفرائض والحساب والفلك، لقيت عناية الشّراح. ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 14، 15.

¹- ينظر تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص507-510.

*- هو محمّد بن أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن مرزوق المعروف بالحفيد، فقيه ونحوي من علماء تلمسان، أخذ عن ابن خلدون والفيروز أبادي، له تصانيف كثيرة أهمها أرجوزة نظم فيها كتاب تليخيص المفتاح، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 291.

كما طرق فنّ البديعيات إذ نجد له ميمية في علم البديع، تشير إليها المصادر باسم مواهب البديع،¹ إلا أنّ بديعية ابن معطي الزواوي* (ت628هـ) تظنّ المنجز اللّامع في هذا الفنّ عند الجزائريين، عنوانها البديع في علم البديع، نظم فيها ما جاء منه في كتاب البديع لابن المعتز، وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني، وكتاب الصّناعتين لأبي هلال العسكري، كما استعمل مصطلحات جديدة، لم ترد في مؤلّفات السّابقين، علماً أنّ ابن معطي ضمّن بديعيته واحداً وخمسين محسّناً، بداية بالطّباق ووصولاً إلى المواربة.²

ومع أنّ البديعيات أوّل ما ظهرت، اقتصر على مدح سيّد الخلق فإنّنا نجد حديثاً محمد بن عبد الرّحمن الدّيسي* (ت1922م) يضع بديعية يمدح فيها محمد بن أبي القاسم الهاملي.³

ثانياً: المختصرات البلاغية:

المختصرات من الاختصار، نقول اختصر الكلام: أوجزه، وهو أن تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى.⁴

* شاعر وأديب وناثر ولد بقسنطينة، زار الحجاز وبيت المقدس والقاهرة والمغرب، ترك العديد من المؤلّفات أشهرها مواهب البديع، وهي ميمية شرحها بنفسه. ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 134، 135.

¹ - ينظر معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، ص134.

* هو يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي إمام عصره في النحو والأدب والشعر، عكف على التّأليف فخلف لنا الدرة الألفية في علم العربية، والبديع في صناعة الشعر، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 134-168.

² - ينظر قراءة في مخطوطة البديع في علم البديع لابن معطي، عبد الرّحمن خربوش، ص3.

* هو مقرئ نحويّ ومتكلم أصولي، ولد بقرية الديس، أكثر من وضع المنظومات مثل بديعيته في مدح أبي القاسم الهاملي والتي أتبعها بشرح سمّاه تحفة الإخوان، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 142-143.

³ - ينظر معجم أعلام الجزائر، ص8، عادل نويهض ص142.

⁴ - ينظر لسان العرب، ابن منظور، مادة اختصر، م2ن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2005، ص1، ص228.

والمختصرات في ميدان التّصنيف، نمط من التّأليف، يعمد فيه أصحابها إلى إيجاز المطوّلات من الكتب اللّغوية، بهدف تيسيرها لطلبة العلم، وقد تتخذ في عمومها شكلين أحدهما نثري والآخر شعري (نظم).

لقد عني علماء الجزائر بإعداد المختصرات خاصّة في القديم، غير أنّ المصادر لا تعطي المعلومات الوفيرة بشأنها، مكتفية بالإشارة والتّلميح، ومن ذلك "مختصر حاشية التّفنّازاني على الكشاف" لمحمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي* (ت895هـ) الذي أشار إليه عادل نويهض في معجمه وأيضاً محمد بن عبد الكريم المغيلي* (ت909هـ) الذي لخصّ كتاب تلخيص المفتاح¹، ممّا يؤكّد مرّة أخرى اهتمام الجزائريين بهذا المصنّف نظماً واختصاراً، مثلما فعل أهل المشرق وكانّ كتاب التّليخيص صار المرجع العمدة في البلاغة العربيّة، فلم يعد يعتدّ بغيره.

ثالثاً: الشّروح البلاغية:

ورد في لسان العرب لابن منظور أنّ الشّرح يراد به الحفظ والبيان والفهم والكشف، فيقال شرح فلان أمره: أوضحه، وشرح مسألة مشكلة: بيّنها، وشرح الشّيء يشرحه شرحاً وبيّنه وكشفه.²

*- كبير علماء تلمسان وزهادها، برز في التّوحيد والتّفسير والحديث، وله في هذه العلوم الكثير من الشّروح والمختصرات مثل مختصر حاشية التّفنّازاني على الكشاف، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 181.

*- فقيه ومفسّر ومتكلم من قبلية مغيلة البربريّة، نشأ بتلمسان، له مختصر تلخيص المفتاح وشرح المختصر، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 308.

1- ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 181-308.

2- ينظر لسان العرب، ابن منظور، م2، مادة شرح، ص 276.

والشّروحات أو الشّروح، طريقة قديمة، اعتمدها علماء العرب والمسلمين لبيان المسائل العلمية وتوضيحها، ومن ثمّ كان الشرح جهداً فكرياً يقوم به الشّارح انطلاقاً من جهود فكرية سابقة.

وعلماء الجزائر اللّغويون، أقبلوا على بعض المؤلّفات البلاغية لجزائريين ولغيرهم، واقفين عندها ممحصّين وكاشفين، ومن ذلك ما قام به إبراهيم بن فائد الزّواوي* (ت857هـ) الذي شرح كتاب التّليخيص للخطيب القزويني، مسمّياً الشرح تلخيص التّليخيص.¹ كما عاد محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى المختصر الذي أعدّه لكتاب التّليخيص، فقام بشرحه تحت عنوان "شرح المختصر".²

والظاهر أنّ البلاغيين الجزائريين حرصوا أيضاً على شرح أعمال جزائرية، على نحو ما صنع محمد بن محمد النّعيري* (ت1703م) إذ شرح منظومة الأخصري "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون". وأعطاه اسم "موضّح السّرّ المكنون على الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون"،³ كما أنجز عبد الله بن أبي القاسم الثعلبي شرحاً بلاغياً لقصيدة الحلّي سمّاه "أنوار التّجلي على ما تضمنته قصيدة الحلّي".⁴

* مفسّر من علماء المالكية، تعلّم في بجاية وتونس وقسنطين، عرف بسمت الزّهاد، له في البلاغة تلخيص التّليخيص، وهو شرح على تلخيص المفتاح، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 160.

1- ينظر تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ص 78.

2- ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 308.

* هو محمّد بن محمّد النّعيري، فقيه وناظم طرق عدّة فنون واشتهر بموضّح السّرّ المكنون على الجوهر المكنون في الثلاثة فنون، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 92.

3- ينظر الخطاب الأدبي القديم في الجزائر، دراسة ببليوغرافياً، مختار حبار، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران، دار الأدب، دط، ص 50.

4- ينظر تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج 2، ص 169.

بينما نجد آخرين أثروا شرح مصنّفاتهم بأنفسهم مثلما ذهب إليه أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الخلّوف إذ عاد إلى ميميته البديعية "مواهب البديع" وقام بشرحها تحت اسم شرح مواهب البديع، والنّهج ذاته سلكه محمد بن عبد الرحمن الديسي حيث شرح هو الآخر بديعيته، فكان له تحفة الإخوان.¹

رابعاً: الكتب البلاغية:

إنّ اهتمام الجزائريين بالمنظومات والشروح والمختصرات لم يمنعهم من وضع الكتب البلاغية، وإن كان تأليف الكتب قديماً قليلاً، ومن النماذج القليلة في هذه المرحلة كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني (ت463هـ) اعتنى فيه بفنّ الشعر وما يتّصل به وبنقده. لقد اتخذ ابن رشيق -كباقي مصنّفي الكتب النقدية في هذه الفترة- مسائل البلاغة معايير نقدية للحكم على الشعر وقائله، وبذلك امتزج النّقد بالبلاغة في هذا الكتاب فجاءت العديد من الأبواب البلاغية مبنوثة في تضاعيفه.²

واللّافت للانتباه أنّ وضع الكتب البلاغية، صنعة تكثر في العصر الحديث عند اللّغويين الجزائريين، ومن أهلها نجد العلامة القطب محمد بن يوسف أطفيش* (ت1914هـ) الذي خصّ علم البلاغة بثلاثة مؤلّفات هي: بيان البيان في علم البيان وفكّ العاني من ربقة المعاني وربيع البديع في علم البديع، وهي كتب تتّصل بعلم البلاغة الثلاثة.

¹- ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص142.

²- ينظر الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، دط، ص86.

* هو محمّد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش، من العلماء الأجراء في الفقه والأدب واللّغة والتفسير، صاحب المؤلّفات والأراجيز في النّحو والعروض، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، ص 20.

إنّ هذه المصنّفات الثلاثة، تمثّل مخطوطات بلاغية منها ما تمّ تحقيقه ككتاب فكّ العاني من ربة المعاني الذي حقّقه الأستاذ الدكتور محمد زمري¹، بينما لا يزال كتاب بيان البيان وربيع البديع دون تحقيق.

لقد أكّبت الجزائريون إذن على التّأليف البلاغي في العصر الحديث فوضعوا كتباً تمثّل أبحاثاً ودراسات علمية وأخرى مدرسية تعليمية.

وإذا جننا نتأمّل الأبحاث والدراسات العلمية، وجدنا بعضها يتّصل بعلوم البلاغة الثلاثة، والبعض الآخر يمسّ قضية من قضاياها، بينما انصرفت المؤلّفات الموضوعية لهدف تعليمي إلى الحديث عن أساليب البلاغة قصد تلقينها لطلبة العلم في أطوار تعليمية معيّنة، كالمرحلة الثانوية والجامعية.

خامساً: القضايا المتّصلة بالبلاغة:

وبالعودة إلى إنتاج الجزائريين في ميدان علم البلاغة، نلاحظ غلبة تناول القضايا والمسائل البلاغية كقضيّتي الإعجاز والنّظم ناهيك عن بعض الأساليب المتّصلة بفرع من فروع هذا العلم.

فمن الذين عالجوا مسألة الإعجاز نجد الأستاذ محمد الصّالح الصّديق* بكتابه "من روائع الإعجاز" وقد وضعه عام 2009، تطرّق فيه إلى وجوه إعجاز القرآن الكريم المعروفة،

¹ - ينظر تخلص العاني من ربة المعاني محمد بن يوسف أطفيش، تح: محمد زمري، ط1، 2009، سلطنة عمان، مسقط.

* - هو محمّد الصّالح الصّديق عالم ومجاهد ومفكّر وأديب وفقهه، ولد سنة 1925 بقرية أبيزار الفبائية، له الكثير من المؤلّفات كأدباء التحصيل ومقاصد القرآن والتّبيان في علوم القرآن، ينظر ترجمة الشيخ محمّد الصّالح الصّديق، ضمن الصفة الخاصّة بجمعية الجاحظية.

كما تحدّث عن فصاحته وخصائص أسلوبه كجودة السّبك وبراعة التّصوير وائتلاف ألفاظه مع معانيه.¹

والجميل في هذا المصنّف أنّ صاحبه قام بإحصاء معظم المشاهير الذين كتبوا في الإعجاز قديمهم وحديثهم كإبراهيم النّظام والجاحظ والجرجاني وأبي يعقوب السّكاكي ورشيد رضا والسّيد قطب والكواكبي إضافة إلى الإمام عبد الحميد بن باديس والعلامة محمد البشير الإبراهيمي، فكلاهما أوقفاه على الوجه البلاغي والعلمي.

وليس هذا فحسب وإنّما أيضاً عرض جملة من الدّراسات، تطرّق فيها أصحابها لذات المسألة، من وجوه مختلفة كمحمد الغزالي وشكري فيصل ومصطفى أحمد الزّرقاء ومصطفى صادق الرّافعي.²

وفي هذا السّياق نشير كذلك إلى كتاب "الإعجاز البياني في القرآن الكريم" للأستاذ عمار ساسي الذي ركّز فيه على البيان لأنّ الكلام عن الإعجاز البياني قلّ في العصر الحديث، بسبب البعد عن الفصاحة والبلاغة.

إنّ هذا الكتاب، في الأصل أطروحة، تقدّم بها صاحبها لنيل شهادة الدّكتوراه، أشار فيه إلى مصطلح الإعجاز والبيان، معرّفًا الإعجاز البياني، ذاكراً نوعين له، يتمثّلان في: الإعجاز البياني الفنّي والإعجاز البياني الخاصّ بالآيات المحكمات (التّشريع).

لقد توصل صاحب الكتاب إلى جملة من النّتائج أهمّها أنّ الإعجاز البياني أسبق في الظّهور من الإعجاز العلمي ولذلك اعتبر البيان مفتاح العلوم، كما كشف مقاصد هذا اللّون من الإعجاز، منتهياً إلى أنّ اللّغة هي الوسيلة الكبرى للبيان، وهو سمة جامعة وشاملة لكلّ

¹ - ينظر من روائع الإعجاز، محمد الصالح الصّدّيق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت، ص30-34-136.

² - ينظر المصدر السابق، ص143-211.

ما أبان لك عن الأشياء والمعاني دقيقتها وخفيها وفق سنن العرب، وبهذا يكون البيان أوسع من البلاغة وشاملا لعلومها، وأنسب في التعامل مع الآيات المحكمات وهو الأمر الذي وضح في القسم التطبيقي.¹

وبالنسبة لقضية النظم، فإننا نذكرها هنا كتاب "نظرية النظم" لصالح بلعيد الذي تطرق للمسألة عند أقطابها الأوائل ثم ربطها بحقول لغوية أخرى كالنحو واللسانيات والأسلوبية كاشفا في الأخير علاقة النظم بالنص.²

والحقيقة أنّ التأليف البلاغي عند الجزائريين لا يقتصر فقط على وضع الكتب المتصلة بقضايا البلاغة، وإنما شمل أيضاً المصنّفات التعليمية التي تستهدف طلبة العلم، بهدف تعريفهم بعلم البلاغة، ولهذا صنّف العديد من الأساتذة مثل هذا النوع من المؤلفات مثل الأستاذ الدكتور بوفاتح عبد العليم الذي أنشأ كتاباً سماه فنون البلاغة العربية حيث تناول فيه مفاهيم ومصطلحات بلاغية في البلاغة والفصاحة ومقتضى الحال والنظم فقد عرض في الباب الأول فنون المعاني من إسناد وقضايها إضافة إلى الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، أما الباب الثاني فعالج فنون البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية ثم الباب الثالث والأخير تطرق من خلاله إلى المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية.³

ومثل هذا الكتاب نجد كذلك مصنفاً آخر عنوانه الإحاطة في علم البلاغة، صنعة الأستاذين عبد اللطيف شريقي وزبير دراقى، عالجا فيه مباحث علوم البلاغة الثلاثة معالجة

¹ - ينظر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عمّار ساسي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007، ص74-243.

² - ينظر نظرية النظم، صالح بلعيد، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، دط2002، ص59-61-156.

³ - ينظر فنون البلاغة العربية، عبد العليم بوفاتح، مطبعة بن سالم، دط، 2009.

شاملة، مشفوعة بالشواهد القرآنية والشعرية الموضحة لعلوم البيان والمعاني والبدیع، وهذا بعد توطئة تحدّثا فيها عن مفهومي الفصاحة والبلاغة والفرق بينهما.¹

وبالإضافة إلى ما تقدم نجد التّأليف البلاغي الجزائري الحديث، يظفر بالكثير من الأبحاث والدّراسات الأكاديمية من قبل باحثين لغويين، تطرّقا إلى بعض المباحث البلاغية المتّصلة بعلم من علوم البلاغة كأسلوب الاستفهام الذي تناوله الأستاذ قطبي الطاهر في كتابه "بحوث في اللّغة" حيث تطرّق إلى المعاني البلاغية التي أشار إليها البلاغيون، كاشفا الظواهر التي يبني عليها نظام الجملة الاستفهامية، وموضحا جماليات الأسلوب الاستفهامي.²

ويتابع الأستاذ قطبي الطاهر دراسته للأسلوب نفسه، متّخذا إياه نموذجا لتوضيح الصّلة الوثيقة بين النّحو والبلاغة، ومشيرا إلى أنّ علم المعاني هو العلم الذي يكشف بجلاء تلك الصّلة مثلما أكّده فحول الدّرس البلاغي كالإمام عبد القاهر الجرجاني وأبي يعقوب السّكاكي وأيضا مازن المبارك.³

وإلى جانب ذلك ذكر الباحث عددا من المصطلحات البلاغية التي استقاها البلاغيون من النّحاة، ثمّ أعطوها دلالات مغايرة، كشبه كمال الاتّصال وكمال الانقطاع والفصل

¹- ينظر الإحاطة في علوم البلاغة، عبد اللطيف شريقي وزبير درّاق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت.

²- ينظر بحوث في اللّغة -الاستفهام البلاغي- قطبي الطاهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1994، ص31-03.

³- ينظر بحوث في اللّغة -الاستفهام بين النّحو والبلاغة- قطبي الطاهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص05-04.

والوصل إضافة إلى مصطلحات أخرى متّصلة بالاستفهام، أوجدها البلاغيون كأسلوب الحكيم وتجاهل العارف.¹

ومن الباحثين الأكاديميين كذلك الذين اهتموا بالبحث البلاغي محمد الصغير بناني إذ نجد له كتاب البلاغة والعمران عند ابن خلدون، فبين نظرة مؤسس علم الاجتماع إلى البلاغة، فهي صناعة لسانية، تمثل آخر مرحلة، يتجلى فيها العمران البشري كما تطرّق إلى مفهومها العام والخاصّ عند العلامة ابن خلدون.

لقد عرض لنا الباحث آراء صاحب المقدّمة بشأن الفرق بين البلاغة والنحو، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بينما النحو هو مطابقة الكلام لمقتضى المثال، إضافة إلى كلامه عن علم المعاني الذي يمثّل التراكيب الخاصّة، وبذلك فإنّه يمثّل علم البلاغة.²

كما كشف محمد الصغير بناني، العلاقة بين البلاغة والعمران عند ابن خلدون الذي اتخذ مفهوم البلاغة وسيلة لاكتشاف علم جديد هو علم العمران.³

إنّ جهود هذا الباحث معتبرة في ميدان الدرس البلاغي الحديث، فقد اتخذ العديد من المصنّفات البلاغية أرضية لدرسه اللساني، ولذلك رجع إلى كبار أعلام البلاغة العربيّة من مثل الجرجاني والسكاكي والجاحظ متحدّثا عن المدرسة البيانية مع الجاحظ ومدرسة النظم مع عبد القاهر الجرجاني والمدرسة الشمولية مع السكاكي.⁴

¹ - ينظر المرجع السابق، ص 50-51.

² - ينظر في البلاغة والعمران عند ابن خلدون، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1996، ص 1465، 137.

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 218.

⁴ - ينظر المدارس اللسانية في التّراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2001، ص 41، 25، 24، 17.

ومن الباحثين الأكاديميين من اهتمّ بمسألة المصطلح نحو الأستاذ عبد الجليل مصطفىاوي الذي وضع كتابا عنوانه "المصطلح البلاغي" تطرّق فيه إلى عدد من المصطلحات البلاغية كالتشبيه والمجاز وغيرها فنتبع ظهورها واستخدام البلاغيين لها خلال المراحل المتعاقبة من نشأة الدرس البلاغي.¹

وبعد هذه الجولة في ميدان التّأليف البلاغي الجزائري، اتّضح لنا غلبة المنظومات والشّروحات والملخّصات على إنتاج البلاغيين الجزائريين قديما، بينما اتّسم الإنتاج البلاغي الجزائري الحديث بوضع الكتب التي توّصل قضايا البلاغة إضافة إلى إعداد الدّراسات الأكاديمية بشأن مباحثها ومصطلحاتها فضلا عن المصنّفات التّعليمية، الهادفة إلى تلقين النّاشئة هذا العلم الجليل والشريف.

¹ - ينظر المصطلح البلاغي (قراءة سياقية في مصادر اللغة العربية حتى القرن الثالث الهجري)، عبد الجليل مصطفىاوي، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، 2010.

قائمة المصادر والمراجع

- 1) ألفية ابن معطي، ابن معطي الزواوي، تح: علي موسى الشوملي، دط، دت.
- 2) «أنا»، محمد البشير الإبراهيمي، الثقافة، إصدار وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، عدد 87، شعبان رمضان 1405/مايو، يونيو 1985.
- 3) الإحاطة في علوم البلاغة، عبد اللطيف شريقي وزبير دراقي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت.
- 4) إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر من الفتح العربي إلى عصرنا، محمد رمضان شاوش والغوتي بن حمدان، م1 ن ط1، 2001.
- 5) الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عمار ساسي عالم الكتب الحديث، ط1، 2007.
- 6) بحوث في اللغة: الاستفهام البلاغي، قطبي الطاهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 7) بحوث في اللغة: بين النحو والبلاغة، قطبي الطاهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.
- 8) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: ابن مريم التلمساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط دت.
- 9) البلاغة والعمران عند ابن خلدون، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1996.
- 10) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 11) تخلص العاني من ربة المعاني، محمد بن يوسف أصغيش، تح: محمد زمري، ط1، 2009، سلطنة عمان، مسقط.

- (12) الخطاب الأدبي القديم في الجزائر، دراسة بيبلوغرافيا، مختار حبار، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران، دار الأديب، دط، دت.
- (13) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، دط، 2004.
- (14) فنون البلاغة العربية، عبد العليم بوفاتح، مطبعة بن سالم، دط، 2009.
- (15) قراءة في مخطوطة البديع في علم البديع، ابن المعطي الزواوي، عبد الرحمن خربوش.
- (16) كتاب الصناعتين، أبو الهلال العسكري، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، دط، 2002.
- (17) لسان العرب، ابن منظور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- (18) المدارس اللسانية في الأدب العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2001.
- (19) معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
- (20) المغرب في حلي المغرب، ابن سعيد، ج2، دار المعارف، مصر.
- (21) المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1983.
- (22) الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، دط، دت.
- (23) من روائع الإعجاز، محمد الصالح الصديق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، دت.
- (24) نظرية النظم، صالح بلعيد، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2002.